

مجموعه وصايا  
ومنهاج التعليم  
لطالب العلم

وصايا

لطالب

العلم



تأليف  
خادم الكتاب والسنة  
أبو عبد الله ليث الحيايلى

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا وحبينا محمد إمام المتقين وسيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فخلال مسيرتي العلمية ومنذ ما يقارب خمس وعشرين سنة مرت بمراحل طلب العلم التي يمرُّ بها طلاب العلم المبتدؤون ، فوجدتُ إن هنالك بعض الهفوات وعدم ترتيب الأولويات ، فاستفدت منها ومن نصائح مشايخي الذين كانوا أصحاب الفضل عليَّ بعد الله عزَّ وجلَّ ، في ترتيب الأولويات وإخلاص النية لرب البريات ، ووجدتُ أن هنالك بعض الآداب والضوابط مُتقدِّمة عند طلاب العلم ، أهمُّها الإخلاص في طلب العلم الذي يؤدي ضياعها الى ضياع العلم وبركته ، وكذلك عدم ترتيب الأولويات في طلب العلم ، فمثلاً يبدأ بمصطلح الحديث ويترك النحو وهذا من الأخطاء الجسيمة التي أراها بكثرة عند طالب العلم ، فأردتُ في هذه الورقات تبين بعض الخطوات والآداب التي يجب أن يسلكها طالب العلم ، والتي يكون بحاجة إليها في المسيرة العلمية ، راجياً من الله عزَّ وجلَّ أن يتقبل منا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

خَادِمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

أبو عبد الله ليثُ الحَيَالِي

## ❖ الوصية الأولى

**إخلاصُ النيةِ**

إِنَّ مِنْ أَهَمِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يُصَحِّحَهَا الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ النِّيَّةَ الْحَسَنَةَ، فَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا مَبْنَاهَا عَلَى النِّيَّاتِ، وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى)<sup>١</sup>، فَعَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ إِخْلَاصُ النِّيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَمِنْ أَوَّلِ شُرُوطِ قَبُولِ الْعَمَلِ الْإِخْلَاصُ، وَثَانِيهَا الصَّوَابُ وَالْمُوَافَقَةُ، وَذَلِكَ بَأَنْ يَكُونَ خَالِصاً لَوَجْهِ اللَّهِ وَصَائِباً عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَشَرَطَ الْإِخْلَاصُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾<sup>٢</sup>، وَشَرَطَ الْمُوَافَقَةَ وَالصَّوَابَ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)<sup>٣</sup>، وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ انْتَشَرَتْ كِتَابُهُمْ مَعَ أَنَّهُ تَوْجَدُ غَيْرُهَا مِنْ كُتُبٍ مِمَّاثِلَةٍ وَلَكِنَّهُ الْإِخْلَاصُ، هَذَا السِّرُّ الْعَجِيبُ فِي قَبُولِ الْعِلْمِ، فَمِثْلًا الْآجُرُومِيَّةُ فِي النُّحُوِّ نَرَى فِيهَا قَبُولًا بَيْنَ طَالِبِ الْعِلْمِ مَعَ إِنَّهُ هُنَالِكَ مَتَوْنٌ أُخْرَى فِي النُّحُوِّ وَلَكِنَّهُ الْإِخْلَاصُ، (فَقَدْ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَلْفَهُ أَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ خَالِصاً لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا يُبَلِّ، وَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ)<sup>٤</sup>، وَكَذَلِكَ مَتْنُ الْغَايَةِ وَالتَّقْرِيبِ فِي الْفَقْهِ الشَّافِعِيِّ لِلْقَاضِي أَبِي شُجَاعٍ فَنَرَاهُ مُنْتَشِراً بَيْنَ طَالِبِ الْعِلْمِ وَلَيْسَ لِمُصَنِّفِهِ إِلَّا مَوْلَفَانِ<sup>٥</sup>، فَسَبْحَانَ الَّذِي بَارَكَ بِهَذَا الْمَتْنِ وَجَعَلَهُ نِبْرَاساً لِلْمَبْتَدِئِينَ فِي الْفَقْهِ الشَّافِعِيِّ وَكَذَلِكَ أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ فَانْتَشَرَتْ رَغْمَ وُجُودِ غَيْرِهَا، حَتَّى شَيْخُهُ ابْنُ مَعْطِي الْجَزَائِرِيِّ<sup>٦</sup> لَهُ أَلْفِيَّةٌ وَلَكِنْ لَانَرَى لَهَا ذِكْرًا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

وَتَقْتَضِي رِضًا بِغَيْرِ سَخَطٍ  
وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَفْضِيلاً  
فَائِقَةٌ أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَعْطِي  
مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلاً  
وَاللَّهُ يَقْضِي بِهَبَاتٍ وَافِرِهِ  
لِي وَلَهُ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ

<sup>١</sup> رواه البخاري ومسلم.<sup>٢</sup> [البينة: ٥]<sup>٣</sup> أخرجه مسلم<sup>٤</sup> سلوة الأنفاس (٢ / ١٢٧)، حاشية الحامدي على شرح الكفراوي على متن الأجرومية (ص ٥).<sup>٥</sup> لم يصل إلينا من بين مؤلفاته العلمية إلا كتابين هما: ١- شرح (الافتاح) لقاضي القضاة أبي الحسن الماوردي، ٢- (غاية الاختصار)، المسمى: (غاية التقريب)، أو (متن أبي شجاع).<sup>٦</sup> الإمام العلامة أبي الحسن يحيى "ابن مَعْطٍ" بن عبدالنور الزواوي الحنفي، الملقب زين الدين، (٥٦٤-٦٢٨هـ) سكن دمشق طويلاً، واشتغل عليه خلق كثير، ثم سافر إلى مصر وتصدر بالجامع العتيق لإقراء الأدب، إلى أن توفي بالقاهرة ودفن بقرب تربة الإمام الشافعي.

بل هُنَالِكَ بعضُ المتونِ والمنظوماتِ الْعِلْمِيَّةِ لَيْسَتْ لها أَسَانِيدُ إلى أَصْحَابِهَا، كَتُحْفَةِ الْأَطْفَالِ لِلْجَمْزُورِيِّ، وَالْمَنْظُومَةُ الْبَيْقُونِيَّةُ لِلْبَيْقُونِيِّ؛ وَالَّتِي اشتهرتَ رَغمَ عَدَمِ مَعْرِفَةِ اسْمِ نَازِلِهَا الصَّرِيحِ وَلَا يَوجَدُ إِسْنَادٌ إلى نَازِلِهَا وَإِنَّمَا نُسِنِدُ إلى شَرَّاحِ الْبَيْقُونِيَّةِ<sup>٧</sup>.

وَقَدْ رَأَيْنَا أَنَّ هُنَالِكَ دَاءٌ يَقَعُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَهُوَ عَدَمُ الْإِخْلَاصِ فِي النِّيَّةِ عِنْدَ طَلْبِ الْعِلْمِ، وَكُنْتُ أَقُولُ دَائِمًا فِي دُرُوسِي: إِنَّ أَحَدَ الْأَسْبَابِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي انْتِشَارِ الْعِلْمِ وَبَرَكَتِهِ هُوَ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الْعِلْمِ وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ نِيَّتُنَا هُوَ رَفْعُ الْجَهَالَةِ عَن نَفْسِنَا وَأَنْ يَنْتَفِعَ غَيْرُنَا وَأَنْ نَجْعَلَ هَذَا الْعِلْمَ يَقْرِينَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَقْرِينَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ ائْتَرَّ عِلْمُهُ وَذَهَبَ، فَمَا كَانَ لِلَّهِ بَقِيٌّ وَمَا كَانَ لِغَيْرِهِ ائْتَرٌ وَذَهَبَ، فَهَذَا أَثَرُ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِلْمِ، وَقَدْ صَنَّفَ ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ بِالْمَدِينَةِ مُوطَأً أَكْبَرَ مِنْ مُوطَأِ مَالِكٍ، حَتَّى قِيلَ لِمَالِكٍ: مَا الْفَائِدَةُ فِي تَصْنِيفِكَ؟ قَالَ: مَا كَانَ لِلَّهِ بَقِيٌّ<sup>٨</sup>.

فلهذا أحبتي في الله من طلب العلم فعليه تصحيح النية بالتواضع، ورفع الجهل عن نفسه وعن غيره، قال مُهَنَّأ: "قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: حَدِّثْنَا مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ؟"، قَالَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ"، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ"، قُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ يُصَحِّحُ النِّيَّةَ؟"، قَالَ: "يَنْوِي يَتَوَاضَعُ فِيهِ، وَيَنْفِي عَنْهُ الْجَهْلَ"<sup>٩</sup>.

فاجعل همك التقرب إلى الله بهذا العلم، وغايتك مرعاة الله تعالى، وقصدك وجه الله لتفوز بالجنة وتكون من المفلحين.

<sup>٧</sup> ذكرتُ هذه العبارة في مُقدِّمةِ كِتَابِي السَّامِوْنِيَّةِ فِي شَرْحِ الْبَيْقُونِيَّةِ.

<sup>٨</sup> تَرْبِيبُ الرَّاوي لِلْسَّبُوطِيِّ ج ١/ص: ١٥١.

<sup>٩</sup> الْأَدَابُ الشَّرْعِيَّةُ لِابْنِ مَفْلَحٍ (٢/ج:ص: ٢٧).

## ❖ الوصية الثانية

أهمية طلب العلم

وهذه وصيتي الثانية، فبعد أن تُخلصَ النيةَ لله تعالى استشعر أهمية العلم وفضله، فهو الطريق إلى الجنة ونحن كلنا نريد الجنة ونسعى إليها قال رسول الله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ)<sup>١٠</sup>.

فعلى طالب العلم استشعار هذا الحديث، وفضل العلم قبل طلب العلم لأنه سيتحفظ لهذا الخير العظيم، وكذلك على طالب العلم أن يستشعر أن الملائكة تضع أجنحتها له رضاء بما يصنع، فطلب العلم فيه خير الدنيا والآخرة لأن طلب العلم هو طريقك للجنة فإن أردت دخول الجنة فعليك بالتوحيد لله تعالى والعمل الصالح الخالص لوجه الله، وهما يأتیان من العلم والعمل به، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>١١</sup>، وكما أن طلب العلم يجعل الملائكة وكل الكائنات الحية يستغفرون ويدعون لك بالخير، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ)<sup>١٢</sup>.

بل إن الله سبحانه وتعالى يباهي بك الملائكة، قال رسول الله ﷺ: (وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)<sup>١٣</sup>.

<sup>١٠</sup> صحيح أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجه (٢٢٣)، أحمد (٢١٧١٥)، الدارمي (٣٥٤).  
<sup>١١</sup> محمد: ١٩.

<sup>١٢</sup> أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

<sup>١٣</sup> أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

ولا يشترط أن يكون هذا الاجتماع في مسجد واحد، وقد ورد حديث آخر يجعل ذلك الفضل لكل جماعة جلسوا مجلساً يذكرون الله تعالى فيه، ولم يقيد ذلك بكونه في "بيت من بيوت الله".  
 فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنّهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) أخرجه مسلم (٢٧٠٠).



فَفَضَّلُ الْعِلْمِ كَبِيرٌ وَأَجْرُهُ عَظِيمٌ، كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بَابٌ مِنَ الْعِلْمِ نَتَعَلَّمُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَلْفِ رَكْعَةٍ تَطْوَعُ) <sup>١٤</sup>، وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: (لَا أَعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ الْعِلْمِ) <sup>١٥</sup>، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: (لَيْسَ شَيْءٌ بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ) <sup>١٦</sup>، وَرَأَى ابْنُ الشَّحِيرِ ابْنَ أَخٍ لَهُ يَتَعَبَّدُ فَقَالَ: أَيُّ بُنِيِّ، الْعِلْمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ <sup>١٧</sup>.  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ الْجُهَّالَ يَهَابُونَكَ وَيُجْلُونَكَ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ يُحِبُّونَكَ وَيُكْرِمُونَكَ، لَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى وَجُوبِ طَلْبِهِ، فَكَيْفَ بِسَائِرِ فُضَائِلِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ <sup>١٨</sup>؟  
وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ <sup>١٩</sup>.

## ❖ الوصية الثالثة

### الصَّبْرُ وَالْعَزِيمَةُ عِنْدَ الطَّلَبِ

وهذه الوصية من الوصايا المهمة للثبات على طريق العلم، وكم رأينا من طالب علم دخل لطلب العلم بقوة ثم بعد فترة ترك العلم فأصبح من الخاسرين، فالعلم يحتاج إلى الصبر كما قال يحيى بن أبي كثير <sup>٢٠</sup> رحمه الله: (لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ) <sup>٢١</sup>، وكذلك قال الإمام النووي <sup>٢٢</sup> عن طالب العلم: (ينبغي أن يكون حريصاً على التعلُّم، مواظباً عليه في جميع أوقاته، ليلاً ونهاراً، وسفرًا وحضرًا، ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير العلم إلا بقدر الضرورة، لأكل ونوم قدرًا لا بُدَّ له منه ونحوهما،

<sup>١٤</sup> المجموع شرح المذهب لبجيج بن شرف النووي المقدمة، باب في فضيلة الاشتغال بالعلم وتصنيفه وتعلمه وتعليمه.

<sup>١٥</sup> سير أعلام النبلاء: ٣٨٧ / ٨.

<sup>١٦</sup> المصدر السابق.

<sup>١٧</sup> الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ج:ص:٣٨).

<sup>١٨</sup> الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم الأندلسي ص: ١٢٠.

<sup>١٩</sup> [المجادلة: ١١].

<sup>٢٠</sup> الإمام الحافظ، أخذ الأعلام أبو نصر الطائي، مؤلاهم النيامي (ت: ١٢٩)، واسم أبيه صالح، وقيل يسار، أقام بالمدينة عشر سنين في طلب العلم، روى عن أبي أمامة الباهلي، وذلك في صحيح مسلم، ولكنه مُزَّسَل، وعن أنس بن مالك وذلك في كتاب السنائي، روى عنه ابنه عبد الله، ومعمَّر، والأوزاعي، وهشام بن أبي عبد الله، وحزب بن شداد، وعكرمة بن عمار.

<sup>٢١</sup> صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلاة ٦١٢ (١٧٥).

<sup>٢٢</sup> هو الإمام أبو زكريا، محيي الدين، بخي بن شرف بن مزي، النووي، ثم الدمشقي (٦٣١هـ-٦٧٦هـ)، وقيل "النواوي" بزيادة الألف بين الواوين، فلقبه: محيي الدين، وقيل أنه كان يكره أن يُلقَّبَ به، ولم يتزوج ولم يكن له ولد، برع رحمه الله في شتى صنوف العلم، من فقه وحديث ولغة، ختم حفظ القرآن الكريم وقد ناهز الاحتلام، واشتهر بالزهد والتقوى والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح للأئمة، وهو من كبار محققي المذهب الشافعي ألف النووي رحمه الله في علوم شتى، وقد حكى عنه أنه كان يكتب حتى تكل يده فتعجزه.

ومن مصنفاته التي أتمها: شرح صحيح مسلم، المنهاج، رياض الصالحين، روضة الطالبين، التنبيه، الأذكار، التقريب، الأربعين، مناقب الشافعي، مختصر أسد الغابة، التبيان في آداب حملة القرآن، وغيرها، ومن المصنفات التي مات قبل أن يتمها في حياته: المجموع، تهذيب الأسماء واللغات، الخلاصة في أحاديث الأحكام، وغيرها. [المنهاج النووي في ترجمة الإمام النووي - السيوطي (ص: ٢٥، ٢٦)]

كاستراحةٍ يسيرةٍ لإزالة الملل، وشبهه ذلك من الضروريات، وليس بعاقِلٍ مَنْ أَمَكَّنَهُ دَرَجَةُ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ فَوَّتَهَا<sup>٢٣</sup>، فلهذا مات النوويُّ بعمرِ الأربعين وقد تَرَكَ لَنَا كِتَابًا نَهَلْنَا مِنْهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَقِيلَ أَنَّهُ لَوْ قُسِّمَ عَدَدُ الصَّفَحَاتِ الَّتِي سَطَّرَهَا قَلَمُهُ عَلَى عِدَدِ أَيَّامِ عُمُرِهِ مِنَ الْوِلَادَةِ لِلوَفَاةِ لَكَانَ النَّاتِجُ أَرْبَعِينَ صَفْحَةً لِكُلِّ يَوْمٍ!!

فَالْعِلْمُ لَا يُحْصَلُ بِالرَّاحَةِ وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الصَّبْرِ، قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ<sup>٢٤</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ: "تَأَمَّلْتُ عَجَبًا، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ نَفِيسٍ خَطِيرٍ يَطُولُ طَرِيقُهُ، وَيَكْثُرُ التَّعَبُ فِي تَحْصِيلِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لِمَا كَانَ أَشْرَفَ الْأَشْيَاءِ لَمْ يُحْصَلْ إِلَّا بِالتَّعَبِ وَالسَّهْرِ وَالتَّكْرَارِ، وَهَجَرَ اللَّذَاتِ وَالرَّاحَةَ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ: بَقِيَتْ سِنِينَ أَشْتَهِي الْمَهْرِيَّةَ<sup>٢٥</sup> لَا أَقْدِرُ؛ لِأَنَّ وَقْتَهَا يَبْعَثُ وَقْتِ سَمَاعِ الدَّرْسِ<sup>٢٦</sup>، وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا لِنَهَايَةِ عُمُرِكَ فَهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: (إِلَى مَتَى تَسْتَمِرُّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ إِمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَالِمًا كَبِيرًا؟! فَقَالَ لَهُ: مَعَ الْحَبْرَةِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ)<sup>٢٧</sup>، أَيْ سَيَسْتَمِرُّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ الْقَبْرَ، وَقَدْ سَمِّيَ إِمَامُ السُّنَّةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّبْرِ فَهُوَ الَّذِي قَالَ عَنْهُ ابْنُ رَافِعٍ: (رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ بِمَكَّةَ بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنَ الْيَمَنِ وَقَدْ تَشَقَّقَتْ رِجْلَاهُ وَأَبْلَغَ إِلَيْهِ التَّعَبُ)<sup>٢٨</sup>، وَلَنَا فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَارْتَحَالِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلِقَاءِ " الْحَضِرِ " عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا وَجَدَ فِيهَا مِنْ مَشَقَّةٍ فِي السَّفَرِ لِأَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى عِلْمِ الْحَضِرِ، وَذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾<sup>٢٩</sup>، وَقَطَعَ هُوَ وَفَتَاهُ مَسَافَاتٍ لَا يَعْلَمُ طَوْلَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، كَانَ مِنْ أَثَرِهَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ مُوسَى بِقَوْلِهِ لِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾<sup>٣٠</sup>، فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ كَثْرَةِ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَاسْتِجْمَاعِ مُوجِبَاتِ الشَّرَفِ التَّامِّ فِي حَقِّهِ ذَهَبَ إِلَى

<sup>٢٣</sup> التبيين في آداب حملة القرآن ١٣/١.

<sup>٢٤</sup> ابن الجوزي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن التيمي البكري، فقيه حنبلي محدث ومؤرخ (٥١٠هـ-٥٩٧هـ).

<sup>٢٥</sup> قمح مهروس يسلق مع اللحم.

<sup>٢٦</sup> ابن الجوزي: صيد خاطر ص ٢٦٦.

<sup>٢٧</sup> ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص ٣٩٩.

<sup>٢٨</sup> ابن عساکر: تاريخ دمشق ٢٦٧/٥.

<sup>٢٩</sup> {الكهف: ٦٠}.

<sup>٣٠</sup> {الكهف: ٦٢}.

الْحَضِرِ لِطَلْبِ الْعِلْمِ وَتَوَاضَعَ لَهُ: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>٣١</sup>، مع أنه نبي لكن طلب العلم يحتاج للصبر والتواضع كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>٣٢</sup>، ومع هذا فقد استعجل موسى فحرم كثير من العلم قال ﷺ: (يُرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى ، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقْصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا)<sup>٣٣</sup>.

ومن القصص الجميلة في الصبر على طلب العلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله ﷺ فاشترت بعيرا، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرا، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يظأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص، فحشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعته قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بِيَهُمَا قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بِيَهُمَا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةَ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بِيَهُمَا؟ قَالَ: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ<sup>٣٤</sup>.

فانظر كيف أن جابرا رضي الله عنه صبر وتحمل المشاق وسار لمدة شهر لحديث واحد، وكذلك كان التابعي سعيد بن المسيب يقول: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد<sup>٣٥</sup>، ولهذا أنصح بالصبر، وعدم الاستعجال، ويحتاج مع الصبر الرفقة الصالحة من الإخوة الذين يعاونوه على الثبات، وكذلك التدرج في طلب العلم، وأخذ الأسباب التي تؤدي إلى هذا الثبات، فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، ودائما استشعر الأجر العظيم الذي ستجنيه

<sup>٣١</sup> {الكهف: ٦٦}.

<sup>٣٢</sup> {الكهف: ٦٩}.

<sup>٣٣</sup> أخرجه البخاري: (١٢٢)، ومسلم: (٦٣١٥)، والترمذي: (٣١٤٩).

<sup>٣٤</sup> أخرجه أحمد (١٦٠٤٢)، والبخاري في الأدب المفرد في السلام والمصافحة (٩٧٠)، قال الأرنؤوط رحمه الله: إسناده حسن.

<sup>٣٥</sup> أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٦٩).



مَنْ الصَّبْرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَالصَّبْرُ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾<sup>٣٦</sup>.

## ❖ الوصية الرابعة

### اختيار الشيخ والمعلم

وبعد الوصايا الثلاث السابقة، ننصح بهذه الوصية المهمة وهو اختيار الشيخ الذي تدرس عنده، فعن محمد بن سيرين، قال: (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ)<sup>٣٧</sup>، فكثير من الطلاب أضاعوا أنفسهم بأخذهم العلم من أهل الأهواء والبدع ومن هم ليسوا مؤهلين للتدريس، فانظر من تجالس، ومن تسمع وتأخذ العلم عنه، ومن الذين تحذر من طلب العلم منهم.

#### ١. أهل البدع

فالابتداع في الدين هو من أخطر الأمور التي تؤدي إلى بطلان العبادة كما ذكرنا في حديث النبي ﷺ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)، ولأنه يؤدي إلى ضياع الدين، وما أحدث الناس بدعة، إلا ضيعوا من السنة ما هو خير منها؛ فاحذر أهل البدع وأخذ العلم منهم، فكم من طالب درس عندهم وتأثر ببدعهم، فعن مالك، قال: لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ: سَفِيهِ يُعْلِنُ السَّفَهَ، وَإِنْ كَانَ أَرَوَى النَّاسِ، وَصَاحِبِ بَدْعَةٍ يَدْعُو إِلَى هَوَاهُ، وَمَنْ يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْمُهُ فِي الْحَدِيثِ، وَصَالِحِ عَابِدٍ فَاضِلٍ إِذَا كَانَ لَا يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ<sup>٣٨</sup>.

فالدراسة على شخص معروف بالبدعة، يؤدي إلى أن يغتر الناس به، ويساعد على استمراره في بدعته.

قال الشاطبي: فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

<sup>٣٦</sup> [الزمر ١٠].

<sup>٣٧</sup> مقدمة صحيح مسلم ج ١: ص ١٤.

<sup>٣٨</sup> سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٦٢).

إحداهما: التفاتُ الجهَّالِ والعامَّةِ إلى ذلك التوقيرِ، فيعتقدون في المبتدعِ أنَّه أفضلُ الناسِ، وأنَّ ما هو عليه خيرٌ ممَّا عليه غيره، فيؤدِّي ذلك إلى اتِّباعه على بدعته دون اتِّباع أهل السنَّةِ على سنَّتِهِمْ. والثانية: أنَّه إذا وَقِرَّ من أجل بدعته صارَ ذلك كالحادي المحرِّضِ له على إنشاءِ الابتداعِ في كلِّ شيءٍ وعلى كلِّ حالٍ، فتحيا البدعُ وتموت السننُ، وهو هدمُ الإسلامِ بعينه<sup>٣٩</sup>. فإذا كانت هناك حاجةٌ شديدةٌ لعلمه، ولا يوجدُ غيره، وأمَّنت فتنته، ففي هذه الحالةِ يجوزُ الأخذُ عنه في غير العقيدةِ كالنحوِ والقرآنِ والفرائضِ.

## ٢. أهل الأهواء

وهؤلاءِ خطرهم عظيمٌ فكم من مسلمٍ ألبسوا عليهم دينهم فحللوا لهم الحرامَ وحرَّموا عليهم الحلالَ بأهوائِهِمْ، وهم كثيرونَ في هذا الزمانِ، تُدفعُ لهم أموالٌ طائلةٌ من جهاتٍ مشبوهةٍ لتخريبِ الإسلامِ بعبادةِ طلبِ العلمِ، وتفتحُ لهم فضائياتٍ لبثِ سُمومِهِمْ، فلا يجبُ طلبُ العلمِ عندهم بل يجبُ هجرهم وعدمُ السماعِ لهم، وتحذيرُ الناسِ منهم، قال أبو قلابة<sup>٤٠</sup>: لا تُخالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ؛ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ<sup>٤١</sup>. ودخلَ رجُلانِ من أصحابِ الأهواءِ على ابنِ سيرينَ، فقالا: يا أبا بكرٍ، نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ؟ قال: لا. قالَا: فنقرأُ عليك آيةً من كتابِ الله؟ قال: لا، لتقومانِ عني أو لأقومنَّ، قال: فخرجا، فقال بعضُ القومِ: يا أبا بكرٍ، وما كانَ عليك أن يقرأَ عليك آيةً من كتابِ الله تعالى. قال: إني خشيتُ أن يقرأَ عليَّ آيةً فيحرفانها، فيقرأَ ذلكَ في قلبي<sup>٤٢</sup>.

وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنه يدلُّ على خطرهم فهم كالسَّمِّ في العسلِ تأكله ولا تشعرُ بخطرهِ فلا تأخذ من أمثال هؤلاءِ ولا شطرَ كلمةٍ فعن سلامِ بنِ أبي مطيعٍ<sup>٤٣</sup>، أن رجلاً من أصحابِ الأهواءِ

<sup>٣٩</sup> «الاعتصام» للشاطبي (١/ ٢٠٢).

<sup>٤٠</sup> عبدُ الله بنُ زيد بن عمرو، شيخُ الإسلامِ، أبو قلابة الجرمي البصري، تابعيٌ وهو من عبادِ أهل البصرة وزهادها، حدَّث عن ثابت بن الضحاك في الكتبِ كُلِّها، وعن أنسٍ كذلك، ومالك بن الحويرث، توفي ١٠٧ هـ. (سير أعلام النبلاء للذهبي)

<sup>٤١</sup> أخرجه الدارمي في سننه (٤٠٥).

<sup>٤٢</sup> أخرجه الدارمي في سننه (٤١١).

<sup>٤٣</sup> سلام بن أبي مطيع الخزاعي (ت: ١٧٤).

قَالَ لِأَيُّوبَ<sup>٤٤</sup>: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَسَأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ؟ قَالَ: فَوَلَّى وَهُوَ يُشِيرُ بِأَصْبُعِهِ: وَلَا نِصْفَ كَلِمَةٍ. وَأَشَارَ لَنَا سَعِيدٌ<sup>٤٥</sup> بِخُنْصِرِهِ الْيُمْنِيِّ<sup>٤٦</sup>.

فالحذرُ الحذرُ منهم حتى لا يُضيعوا دينكم بشبهاتهم ويجب التصدي لهم، والتحذيرُ منهم بالحسنى بلا سبٍ ولا شتمٍ، مع بيانِ خطيئهم، وذلكَ حفاظاً على ديننا الحنيفِ. وننبه على أمورٍ:

١. أخذ العلم من المختصين إلا إذا لا يوجد غيره، فلو درست الحديث فاذهب إلى أهل الحديث، والفقهاء فاذهب إلى أهل الفقه، والمواريث إلى أهل الفرائض وهكذا، وبعضُ الشيوخ حاز أكثر من فنٍ فهذا عَضٌّ عليه بالنواجذ، واحرص على أن تطلب العلم منه، لأنه ينفعك في فوائده وفرائده وتفنونه بالعلوم.

٢. أخذ العلم من الذين درسوا على يد المشايخ وأثنوا الركب في العلم، فمن درس على الكتاب ولم يدرس على يد المشايخ، فخطئه أكثر من صوابه، قال النووي: وَلَا تَأْخُذْ الْعِلْمَ مِمَّنْ كَانَ أَخْذُهُ لَهُ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ عَلَى شَيْخٍ أَوْ شَيْخٍ حَادِقٍ، فَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا مِنْ الْكُتُبِ يَقَعُ فِي التَّصْحِيفِ، وَيَكْثُرُ مِنْهُ الْغَلْطُ وَالتَّحْرِيفُ<sup>٤٧</sup>.

٣. وهذا التنبيه مهم، فإذا درست على شيخٍ يطعن بالناس ويسب الناس فابتعد عنه فهذا لا خير فيه، لأنه سيضيع عليك دينك ودنياك وسيجعلك سبباً طعناً لعاناً مثله، وهذا خلاف سنة النبي ﷺ وخلاف ما أمر به، فقد قال ﷺ: (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ)<sup>٤٨</sup>، وهذا نص صريح على فسقه، فلم يكن رسول الله طعناً ولا لعاناً ولا فاحشاً ولا بديئاً، بل ترى بعض طلاب العلم يتخذون بعض الشيوخ لأنهم متقنون للعربية وبعض الفنون، ولكنه يسب ويطن بالمسلمين على المنابر، بل يطن بالمسلمين في الدروس والمحاضرات، فيا ليتهم تعاملوا مع المسلمين كما تعامل رسول الله ﷺ مع رأس المنافقين أبي بن سلول فإنه ﷺ، صلى عليه عند وفاته وأدخله القبر بيديه ونفخ عليه من

<sup>٤٤</sup> أبو بكر بن أبي تميمه كيسان، العنزي (٦٦- ١٣١ هـ)، الإمام الحافظ، سيد العلماء وهو من التابعين سمع من أبي يزيد عمرو بن سلمة الجرمي، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعكرمة مولى ابن عباس، وحفصة بنت سيرين، وعطاء بن أبي رباح، ونافع مولى ابن عمر، حدث عنه: محمد بن سيرين، وعمرو بن دينار، والزهرري، وقنادة - وهم من شيوخه -، وشعبة، وسفيان، ومالك. (سير أعلام النبلاء للذهبي)

<sup>٤٥</sup> سعيد بن عامر الضبعي راوي الحديث.

<sup>٤٦</sup> أخرجه الدارمي في سننه (٤١٢).

<sup>٤٧</sup> المجموع شرح المذهب للنووي المقدمة.

<sup>٤٨</sup> متفق عليه.

رِيقِهِ وَالْبَسَهُ قَمِيصَهُ فَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَعْدَمَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ، فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَالْبَسَهُ قَمِيصَهُ)<sup>٤٩</sup>.

وقد رأينا كثيراً من أمثال هؤلاء المشايخ الذين يطعنون بالمسلمين، فهم مدعومون أيضاً من جهات مشبوهة لتفريق المسلمين، فهؤلاء لا خير فيهم، فعلم بلا أدب كَنَارٍ بِلَا حَطَبٍ<sup>٥٠</sup>، لأنها سرعان ما ستنطفئ، فالعلماء الربانيون والمشايخ المصلحون لا يسبون ولا يطعنون بحجة الجرح والتعديل، فشيخ بلا أدب لا خير فيه، فعن إبراهيم بن حبيب الشهيد<sup>٥١</sup>، قال: قال لي أبي: يا بُنَيَّ، إيتِ الفُفَّهَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَتَعَلَّمْ مِنْهُمْ، وَخُذْ مِنْ أَدْبِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَهَدْيِهِمْ؛ فَإِنَّ ذَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ لَكَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ<sup>٥٢</sup>.

وقال ابن وهب رحمه الله: مَا نَقَلْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ، أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ<sup>٥٣</sup>.

وهذا بسبب التربية الصحيحة عند المشايخ الربانيين الذين يعلمون العلم والأدب.

وهذا الإمام مالك بن أنس نفسه القائل: (كَانَتْ أُمِّي تُعَمِّمُنِي وَتَقُولُ لِي: اذْهَبْ إِلَى رِبِيعَةَ فَتَعَلَّمْ مِنْ أَدْبِهِ قَبْلَ عِلْمِهِ)<sup>٥٤</sup>.

فكم نحن بحاجة للأدب كما كان رسولنا ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم وأئمتنا رحمهما الله، فإذا رأيت شيخاً يغتاب الناس ويطعن بهم ويسبهم، فإياك أن تطلب العلم عنده، فتخسر الدنيا والأخرة.

<sup>٤٩</sup> أخرجه البخاري (١٢٧٠)، مسلم (٢٧٧٣ (٢)).

<sup>٥٠</sup> ((الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)) (١/ ٨٠)، وهي مقولة أبي زكريا العنبري.

<sup>٥١</sup> أبو إسحاق، إبراهيم بن حبيب الأزدي البصري وهو من أتباع التابعين كما ذكره ابن حبان في هذه الطبقة روى له الإمام أحمد حديثاً في المسند قال عنه النسائي والدارقطني والذهبي وابن حجر العسقلاني ثقة، وأبوه أبو محمد ويقال أبو شهيد البصري وثقه ابن حنبل وابن معين، والنسائي، والدارقطني، وأبو حاتم الرازي. (التقاة لابن حبان ٦٣/٨، تهذيب الكمال ٦٧/٢، سؤالات السلمي للدارقطني ص: ٦٤).

<sup>٥٢</sup> ((الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)) (١/ ٨٠).

<sup>٥٣</sup> ((سير أعلام النبلاء)) (٨/ ١١٣).

<sup>٥٤</sup> ترتيب المدارك وتقريب المسالك للحيصبي المتوفى ٥٤٤ هـ.

## ❖ الوصية الخامسة

التواضع والأدب

الوصية الخامسة، هي التواضع للمشايع والعلماء مع الأدب، فالعلم لا يؤخذ ابتداءً من الكتب، بل لا بُدَّ من شيخٍ تثقُ بهِ وبعلمه تدرسُ عليه، لتأمنَ من الخطأ، فعليك بالتواضع والأدب معه، وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِلْعِلْمِ وَالْمُعَلِّمِ، فَبِتَوَاضُعِكَ تَنَالُهُ، وليكن شيخك محلَّ إجلالٍ منك وإكرام، فخذ بمجامع الأدب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال، والاستماع، والأدب في الكلام معه، **قَالَ الرَّبِيعُ** : **وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ الْمَاءَ وَالشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ هَيْبَةً لَهُ<sup>٥٥</sup>**، فهذا من الأدب مع المشايخ، ولا تقل له شيخ ولا تناديه باسمه مجرداً، ولا تقل له أخي بل عليك أن تقول شيعي ليشعر باحترامك له، وتعامله كعامله الوالد فهو بمثابة والد لك، **قَالَ الشَّافِعِيُّ** - رَحِمَهُ اللَّهُ - : **كُنْتُ أَصْفَحُ الْوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيَّ مَالِكٍ صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ<sup>٥٦</sup>**.

وعليك بترك التَّطاولِ والمجادلة أمامه، وعدم معارضته بالمباشرة بل بالتلميح، وإذا أخطأ فلا تُجرجه بل صحح خطأ شيخك بصورة غير مباشرة، وتنبههُ بسؤاله كأنك جاهلٌ لهذه المسألة، فتقول: شيعي ما قولك في هذه المسألة، أو شيعي قرأت في كتاب كذا حديث كذا فما رأيك به، دون الإلحاح عليه في الجواب، مُتَجَنِّبًا الإكثارَ مِنَ السُّؤَالِ لا سيما مع شهود الملاء، وكذلك إذا كان مشغولاً، فعن **إِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**، **قَالَ**: **إِنْ كُنْتُ لَأَتِي الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ نَائِمًا لَمْ أُوقِظْهُ، وَإِذَا رَأَيْتُهُ مَغْمُومًا لَمْ أَسْأَلْهُ، وَإِذَا رَأَيْتُهُ مَشْغُولًا لَمْ أَسْأَلْهُ<sup>٥٧</sup>**، ولا تسأل عن المسائل العويصة التي لا تنفع المسلمين، وإنما تفتح عليهم أبواب النزاع، وتثير بينهم الشقاق، ولا تسأل شيخك امتحاناً له فهذا من الأخطاء الجسيمة التي يقع بها

<sup>٥٥</sup> المجموع شرح المذهب للنووي المقدمة.<sup>٥٦</sup> المجموع شرح المذهب للنووي المقدمة.<sup>٥٧</sup> الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي باب آداب السائل للمحدث رقم ٣٩٠.



بعضُ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَهَلْ كَانَتْ مَحَنَةُ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَخُرُوجِهِ مِنْ بَلَدِهِ إِلَّا مِنْ مِثْلِ هَذَا؟!!<sup>٥٨</sup>

وَإِذَا بَدَأَ لَكَ خَطَأً مِنَ الشَّيْخِ، فَلَا يُسْقِطُهُ ذَلِكَ مِنْ عَيْنِكَ فَلَا يَخْلُوا عَالِمًا مِنْ خَطَأٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوَاضِعَ لِلشَّيْخِ وَلِطَلِّبِ الْعِلْمِ هُوَ سَبَبٌ لِرِفْعَتِكَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: ذَلَّلْتُ طَالِبًا لَطَّلِبَ الْعِلْمَ، فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا<sup>٥٩</sup>، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - : لَا يَطَّلِبُ أَحَدٌ هَذَا الْعِلْمَ بِالْمُلْكِ وَعِزِّ النَّفْسِ فَيَفْلَحَ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِذُلِّ النَّفْسِ، وَضِيقِ الْعَيْشِ، وَخِدْمَةِ الْعُلَمَاءِ أَفْلَحَ<sup>٦٠</sup>.

وَأَوْصِيكَ بِوَصِيَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ حِينَما قَالَ : مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَّةً وَتُخَصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ، وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ، وَلَا تَعْمِدَنَّ بِعَيْنِكَ غَيْرَهُ، وَلَا تَقُولَنَّ: قَالَ فُلَانٌ خِلَافَ قَوْلِهِ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تُسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ، وَلَا تَلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ، وَلَا تَشَبَّعَ مِنْ طَوْلِ صُحْبَتِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ<sup>٦١</sup>.

وَأْتِيَهُ عَلَى أَنَّ الْأَدَبَ مَعَ الشُّيُوخِ لَا يَعْنِي الْعُلُوَّ فِيهِمْ، فَتَرَى بَعْضَهُمْ يُخَطِّئُ جَمَاهِيرَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِأَنَّ شَيْخَهُ رَأَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كَذَا، بَلْ كُنْ مَعَ الدَّلِيلِ وَالْفَهْمِ الصَّحِيحِ لَهُ، وَإِنْ خَالَفَ شَيْخُكَ الدَّلِيلَ الصَّحِيحَ، فَعَلَيْكَ بِالدَّلِيلِ وَفِهْمِهِ وَلَا يُفْسِدُ ذَلِكَ احْتِرَامَكَ لِشَيْخِكَ.

<sup>٥٨</sup> عندما علا شأن البخاري وهو تلميذ الأذهلي تسللت الغيرة المذمومة إلى نفس الأذهلي، حتى وصل الأمر به لأن يخوض في حق البخاري ويتكلم فيه ويرميه بثمة البخاري بريء منها، فما هذه التهمة يا ترى والتي كانت سبب محنة البخاري؟ هذه التهمة هي تهمة اللفظية، وهي تعني قول القائل: أن لفظي بالقرآن مخلوق، فقد قال لأصحاب الحديث إن البخاري يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه في المجلس، فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل، فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فأعاد الرجل السؤال ثلاث مرات، فالتفت إليه البخاري، وقال: "القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة"، أي: إن البخاري قد أدرك مغزى السؤال، وعلم أنه من جنس السؤالات التي لا يراد بها وجه الله - عز وجل -، وإنما يراد بها امتحان العلماء وإثارة الفتن والفرقة بين الناس، فشغب الرجل السائل على مجلس البخاري فقال الرجل: قد قال لفظي بالقرآن مخلوق، فقام الإمام منه. (هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري ص: ٥١٥ بتصرف).

<sup>٥٩</sup> أخرجه الدينوري في [المجالسة وجواهر العلم ٤ / ٤٣٩].

<sup>٦٠</sup> المجموع شرح المذهب للنووي المقدمة.

<sup>٦١</sup> المجموع شرح المذهب للنووي المقدمة.

## ❖ الوصية السادسة

الصَّمْتُ، وَحُسْنُ الْاسْتِمَاعِ، وَالسُّؤَالِ، وَالْحِفْظِ

وهنا أنصح طالب العلم معرفة هذه القواعد التي ذكرها الخطيب البغدادي<sup>٦٢</sup> في باب ترتيب أحوال المبتدئ بالتفقه، فقال: عن الأصمعي<sup>٦٣</sup> أنه سمع أبا عمرو بن العلاء<sup>٦٤</sup> يقول:

أول العلم: الصَّمْتُ، والثاني: حُسْنُ الاستماع، والثالث: حُسْنُ السُّؤَالِ، والرابع: حُسْنُ الحِفْظِ، والخامس: نَشْرُهُ<sup>٦٥</sup>.

فهذه النصائح الذهبية يجب على طالب العلم أن يتدبرها في مسيرته العلمية.

أولاً: الصَّمْتُ فعليه أن يسمع، حتى يستطيع أن يستوعب العلم، ويكون قلبه حاضراً مع الدرس لا غافلاً عنه.

ثانياً: حُسْنُ الاستماع، ونلاحظ كثيراً من طلاب العلم يسألون قبل الفهم، فنراه أول ما يخطر بباله سؤالاً يسأل، وهذا من الأخطاء في التلقي، فانتظر الشيخ فإنه قد يأتيك بالجواب خلال الدرس.

قال الخطيب البغدادي: فلا ينبغي أن يستفهم من الفقيه حكم الفصل الذي يذكره له قبل أن يتمم الفقيه ذكره، فربما وقع له البيان عند انتهاء الكلام، قال الله تعالى: **(وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ)**<sup>٦٦</sup>، فإن انتهى كلام الفقيه، ولم يبق له الحكم سألته عنه حينئذ، فإن شفاء العي السؤال<sup>٦٧</sup>.

ثالثاً: حُسْنُ السُّؤَالِ، فليكن سؤالك بأدب بقولك: شيخنا ما قولك في كذا، أو لم أفهم هذا فهل

<sup>٦٢</sup> أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، (ت: ٤٦٣).

مولده في (غزبية) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد فقربه رئيس الرؤساء ابن مسلمة (وزير القائم العباسي) وعرف قدره، ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستترا إلى الشام فأقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب، سنة ٤٦٢، ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم، وكان فصيح اللهجة عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعا بالتأليف، ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتاباً من مصنفاته، من أفضلها (تاريخ بغداد - ط) أربعة عشر مجلداً. (الأعلام للزركلي).

<sup>٦٣</sup> أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمغ الباهلي (١٢١ - ٢١٦ هـ) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.

<sup>٦٤</sup> القارئ أبي عمرو بن العلاء البصري (٦٨ - ١٥٤ هـ)، أحد القراء السبعة، وشيخ القراءة والعربية، أخذ أبو عمرو بن العلاء القراءة عن أهل الحجاز، وأهل البصرة، وأهل الكوفة، وليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، فقرأ القرآن بمكة على: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وعبد الله بن كثير، (انظر تهذيب الكمال ١٢١/٣٤).

<sup>٦٥</sup> الفقيه والمتفقه: ١٩٩/٢، ط. دار الجوزي.

<sup>٦٦</sup> طه: ١١٤.

<sup>٦٧</sup> [الفقيه والمتفقه: ٢٠٣/٢]، باب ترتيب أحوال المبتدئ بالتفقه.

يُمْكِنُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْنَا وَتُبَيِّنَهُ، وَمَا شَاهَبَهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِذَا رَأَيْتَ شَيْخَكَ لَمْ يُجِبْكَ فَلَا تَلَحَّ عَلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، بَلْ بَعْضُهُمْ يَقْطَعُ عَلَى الشَّيْخِ دَرْسَهُ مُسْتَفْهِمًا مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى التَّشْوِيشِ عَلَى أَفْكَارِ الشَّيْخِ. رَابِعًا: حُسْنُ الْحِفْظِ، فَالْحِفْظُ مَهْمٌ لَطَالِبِ الْعِلْمِ وَأَنْصَحُ بِالتَّكْرَارِ فِي الْقِرَاءَةِ حَتَّى تَتَبَّتِ الْمَعْلُومَةُ، مَعَ تَقْرِيبِ الْمَسْأَلَةِ لِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ فِي الْوَاقِعِ وَرِبْطُهُ مَعَهُ حَتَّى يَثْبِتَ فِي الذِّهْنِ، وَطَبَّقَ مَا تَعَلَّمْتَهُ مِنْ مَسَائِلِ شَرْعِيَّةٍ عَلَى الْوَاقِعِ عَلَى قَدْرِ اسْتَطَاعَتِكَ، فَهُوَ نَافِعٌ فِي تَثْبِيتِ الْمَعْلُومَةِ، وَعَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَثَبَّتَ فِي الْأَخْذِ وَلَا يُكْثِرُ، بَلْ يَأْخُذُ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَسَبَ مَا يَحْتَمِلُ حِفْظُهُ وَلَا يُكْثِرُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: **{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا }<sup>٦٨</sup>**

فَمَنْ اسْتَعْجَلَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ عَوْقَبَ بِجِرْمَانِهِ، وَقَدْ رَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى حُصَيْنِ قَالَ: (جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى حَلَقَةِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَكَانَ يَطْلُبُ الْكَلَامَ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا فِيهَا شَيْئًا مِنَ الْجَوَابِ، فَانصَرَفْتُ إِلَى حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، فَسَأَلْتُهَا فَأَجَابَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: غَرَزْتُمُونِي، سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ، فَلَمْ تُحْسِنُوا شَيْئًا، فَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ فَاتَى حَمَّادًا، فَقَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: أَطْلُبُ الْفِقْهَ قَالَ: تَعَلَّمْ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَسَائِلَ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهَا شَيْئًا حَتَّى يَتَفَقَّحَ لَكَ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ فَفَعَلَ، وَلَزِمَ الْحَلَقَةَ حَتَّى فَقَّهَ، فَكَانَ النَّاسُ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ)<sup>٦٩</sup>.

وَرَوَى عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفْقٍ)<sup>٧٠</sup>.

فَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَثَبَّتَ فِي الْأَخْذِ وَلَا يُكْثِرُ، بَلْ يَأْخُذُ بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُ حِفْظُهُ، وَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ فِي الْحِفْظِ وَالِاسْتِعَابِ، إِذَا لَا بُدَّ مِنَ التَّدْرِجِ بِالْحِفْظِ.

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ<sup>٧١</sup>: حِينَ أَرَدْتُ النَّحْوَ أَتَيْتُ الْحَلَقَةَ فَجَلَسْتُ سَنَةً لَا أَتَكَلَّمُ، إِنَّمَا أَسْمَعُ فَلَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ: نَظَرْتُ، فَلَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ: تَدَبَّرْتُ، لَمَّا كَانَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ: سَأَلْتُ وَتَكَلَّمْتُ<sup>٧٢</sup>.

خَامِسًا: نَشْرُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، فَلَا تَنْشُرْهُ عِنْدَ فَاسِقٍ فَيَحْتَجُّ بِهِ، أَوْ مُبْتَدِعٍ فَتَكُونَ إِعَانَةً لَهُ عَلَى بَدْعِهِ.

<sup>٦٨</sup> الفرقان: ٣٢.

<sup>٦٩</sup> [الفقيه والمتفقه: ٢٠٠/٢].

<sup>٧٠</sup> أخرجه أحمد (١٣٠٥٢) وقال الأرنؤوط في حاشية المسند: حسن بشواهد، وهذا السند ضعيف.

<sup>٧١</sup> الخليل بن أحمد، (١٠٠-١٧٠هـ)، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض.

<sup>٧٢</sup> [الفقيه والمتفقه: ٢٠٢/٢]، بَابُ تَرْتِيبِ أَحْوَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالتَّفَقُّهِ.

## ❖ الوصية السابعة

### ترتيب الأولويات

وهذه من النصائح المهمة التي يجب أن يعتني بها طالب العلم وذلك لأننا نرى بعض طلاب العلم لا يعرف المنهجية، ولا كيف يبدأ، فنراه يبدأ بمصطلح الحديث وهذا من أكبر الأخطاء، أو بكتب المتقدمين فيرى من الصعوبة ما يؤدي إلى تركه للعلم أو ضعفه كطالب علم، وهذا سببه أنه يريد أن يرتقي بليلة وضحاها، ويدخل الرياء إليهم خاصة بين المتقدمين في طلب العلم، فنراه يريد أن يصبح عالماً ويبرز بين أقرانه بقراءة المطولات قبل المختصرات وقبل التدرج في طلب العلم فتكون التكرسات، وهنا تكون النصيحة لثلاثة مراحل من طلاب العلم:

### ١. طالب العلم المبتدئ

عندما يبدأ طالب العلم في طلبه للعلم عليه أن يبدأ بالقرآن الكريم: وهو أول الكتب التي يجب عليك قراءته وتأمله، وحفظه مع قراءة تفسير السعدي أو تفسير الجلالين لفهم معانيه، ومعها دراسة النحو والتي تركها بعض المتقدمين بسبب الرياء فتراه يدرس مصطلح الحديث وهو لا يعرف المبتدأ من الخبر، وعليه أن يبدأ بمتن الأجرومية وشرحها المسمى التحفة السننية لمحمد محي الدين عبد الحميد، وأيضاً دراسة أحكام التلاوة ويبدأ بمنظومة تحفة الأطفال للجزموري وشرحها فتح الأقفال.

ثم يدرس الأربعين النووية ويحفظها مع شرح مختصر، ودراسة مختصرات العقيدة الصحيحة كثلاثة الأصول وأدلتها، وأصول السنة للحميدي<sup>٧٣</sup>، والعقيدة الميسرة لأحمد بن عبد الرحمن القاضي، ثم دراسة مذهب في الفقه.

<sup>٧٣</sup> وقد حَقَّقْتُ هذا الكتاب مع حاشية نافعة لطلاب العلم.

وَمِنْ كُتُبِ الْمُتَدَبِّرِينَ لِلْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي أَنْصَحُ بِهَا:

١. **المذهب الحنفي**: مختصر القُدوري لأبي الحسين القُدوري (المتوفى: ٤٢٨هـ)، مع شرح مختصر القُدوري: "الباب شرح الكتاب" لعبد الغني الميداني (المتوفى: ١٢٩٨هـ).

٢. **المذهب المالكي**: متن الأخصري (المتوفى: ٩٥٣هـ)، وشرحه المسمى "هداية المتعبد السالك" للعلامة صالح عبد السميع الآبي (المتوفى: ١٣٣٥هـ).

٣. **المذهب الشافعي**: متن الغاية والتقريب للقاضي أبي شجاع توفى بعد سنة (٥٠٠هـ)، مع شرح ابن القاسم الغزي والتذهيب لمصطفى ديب البغا، وكتاب التذهيب يعطيك الأدلة على المسائل.

٤. **المذهب الحنبلي**: بداية العابد وكفاية الزاهد للبعلي<sup>٧٤</sup>، أو دليل الطالب لنيل المآرب للشيخ مرعي (المتوفى: ١٠٣٣هـ) وهو يتميز بسهولة العبارة، ومن أشهر شروحه منار السبيل شرح الدليل لابن ضويان (المتوفى: ١٣٥٣هـ).

وفي أصول الفقه: أيسرها كتاب الأصول من علم الأصول للشيخ ابن عثيمين.  
وفي السيرة: مختصر السيرة لعبد الغني المقدسي (ت: ٦٠٠هـ).

وفي مصطلح الحديث: أنصح بالمنظومة البيقونية مع شرحها كشرح ابن عثيمين<sup>٧٥</sup>.

## ٢. طالب العلم المتوسط

عليه بدراسة مذهبين في الفقه، وأقترح بعض المناهج منها:

١. **المذهب الحنفي**: الاختيار لتعليل المختار للموصلي<sup>٧٦</sup>.

٢. **المذهب المالكي**: المرشد المعين، على الضروري من علوم الدين للعلامة أبي محمد عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الفاسي (ت: ١٠٤٠هـ)، بشرح العلامة محمد ميارة -تلميذه- (ت: ١٠٧٢هـ).

<sup>٧٤</sup> عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البعلي الخلوتي الحنبلي المعروف بالبعلي فقيه حلي (١١١٠ - ١١٩٢)، ولد أحد جدوده في بعلبك فعرف بالبعلي، وكان مولده وشهرته في دمشق، ووفاته في حلب.

<sup>٧٥</sup> وأنصح بكتاب السامسونية في شرح البيقونية وهو شرحنا للمنظومة البيقونية وأنصح به للمتوسطين، والحاشية فيها فوائد نافعة.

<sup>٧٦</sup> وهو الشيخ أبو الفضل عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود ابن بلدجي الموصلي، الحنفي المذهب، ولد في الموصل في ٥٩٩هـ/توفي ٦٣٨هـ.



٣. **المذهب الشافعي:** كتاب **مِنْهَاجِ الطَّالِبِينَ وَعُمْدَةِ الْمُفْتِينَ** لِلنَّوَوِيِّ، وَتَسْتَعِين بِشَرْحِ تَحْفَةِ الْمُحْتَاجِ فِي شَرْحِ الْمِنْهَاجِ<sup>٧٧</sup> لِابْنِ حَجَرَ الْهَيْتَمِيِّ<sup>٧٨</sup>.
٤. **المذهب الحنبلي:** زَادُ الْمُسْتَفْتَعِ لِلْحَجَاوِيِّ (المتوفى: ٩٦٨هـ)، وَمِنْ أَشْهُرِ شُرُوحِ الرُّوضِ الْمَرْبَعِ لِلشَّيْخِ مَنْصُورِ الْبَهْوِيِّ الْحَنْبَلِيِّ (المتوفى: ١٠٥١هـ).
- وَفِي النُّحُو: **مُلْحَةُ الْإِعْرَابِ لِلْحَرِيرِيِّ**<sup>٧٩</sup>، ثُمَّ **قَطْرُ الْبَدْرِ لِابْنِ هِشَامٍ**<sup>٨٠</sup>.
- وَفِي التَّفْسِيرِ: تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ مَخْتَصَرِ عَمْدَةِ التَّفْسِيرِ لِابْنِ كَثِيرٍ، لِأَحْمَدَ شَاكِرٍ<sup>٨١</sup>.
- وَفِي أُصُولِ الْفِقْهِ: **الْوَرَقَاتُ لِلْجَوِينِيِّ**، مَعَ أَحَدِ شَرْحِهَا مِنْهَا **الْأَنْجُمُ الزَّاهِرَاتُ لِلْمَارْدِينِيِّ**<sup>٨٢</sup>، ثُمَّ **الْوَجِيزُ** فِي أُصُولِ الْفِقْهِ لِلْعَلَّامَةِ عَبْدِ الْكَرِيمِ زَيْدَانَ، أَوْ أُصُولُ الْفِقْهِ لِأَبِي زُهْرَةَ.
- وَفِي الْفَرَائِضِ: **عِلْمُ الْفَرَائِضِ وَالْمَوَارِيثِ** يُضَاحُ الْمَنْظُومَةُ الرَّحْبِيَّةُ لِشَيْخِنَا وَمُجِيزُنَا الشَّيْخِ مَوْلُودِ الرَّاوِيِّ.
- وَفِي الْعَقِيدَةِ: **الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ**، وَأَنْصَحُ أَنْ تَقْرَأَ مَعَهَا الشَّرْحَ الْخَاصَّ بِهَا لِلْإِمَامِ ابْنِ أَبِي الْعَزِّ الْحَنْفِيِّ، وَالْمَنْظُومَةُ الْحَائِيَّةُ لِلْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ السَّجِسْتَانِيِّ<sup>٨٣</sup>، وَالْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ، مَعَ شَرْحِهُمَا.
- وَفِي التَّلَاوَةِ: **الْمُقَدِّمَةُ الْجَزْرِيَّةُ لِلْجَزْرِيِّ**<sup>٨٤</sup>.
- وَفِي مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ: **الْبَاعِثُ الْحَثِيثُ**<sup>٨٥</sup> فِي شَرْحِ مَخْتَصَرِ الْحَدِيثِ لِابْنِ كَثِيرٍ، ثُمَّ **نُجْبَةُ الْفِكْرِ** مَعَ شَرْحِهَا النَّزْهَةُ لِابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ.

<sup>٧٧</sup> مع كتاب مُغْنِي الْمُحْتَاجِ لِلشَّرِيبِيِّ.

<sup>٧٨</sup> شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حَجَرَ الْهَيْتَمِيِّ السَّعْدِيُّ الْأَنْصَارِيُّ الشَّافِعِيُّ، وُلِدَ فِي رَجَبِ سَنَةِ ٩٠٩ هـ فِي مَحَلَّةِ أَبِي الْهَيْتَمِ مِنْ إِقْلِيمِ الْغَرْبِيَّةِ فِي مِصْرَ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهَا، مَاتَ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ فَكَفَلَهُ الْإِمَامَانِ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ أَبِي الْحَمَائِلِ وَشَمْسُ الدِّينِ الشَّنَاوِيُّ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٧٣ هـ.

<sup>٧٩</sup> الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ الْبَصْرِيُّ (المتوفى: ٥١٦هـ).

<sup>٨٠</sup> عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ، أَبُو مُحَمَّدٍ، جَمَالُ الدِّينِ، ابْنُ هِشَامٍ (المتوفى: ٧٦١هـ).

<sup>٨١</sup> وَصَلَ فِيهِ إِلَى الْآيَةِ ثَمَانِيَّةٌ مِنَ الْأَنْفَالِ ثُمَّ أَكْمَلَهُ الشَّيْخُ أَنْوَرَ الْبَازِ.

<sup>٨٢</sup> وَمَنْ أَرَادَ الْاسْتِزَادَةَ فَعَلَيْهِ بِشَرْحِ الشُّذْرَاتِ فِي شَرْحِ الْوَرَقَاتِ وَهَذَا أَحَدُ الْكُتُبِ الَّتِي صَنَفْتَهَا وَلَكِنْ لَا أَنْصَحُ بِهِ لِلْمَبْتَدِئِينَ بَلْ يُقْرَأُ بَعْدَ أَحَدِ الشُّرُوحِ لِلْمَبْتَدِئِينَ.

<sup>٨٣</sup> أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الْأَشْعَثِ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ الْحَافِظُ، شَيْخُ بَغْدَادِ السَّجِسْتَانِيِّ (٢٣٠-٣١٦).

<sup>٨٤</sup> شَيْخُ الْقُرَّاءِ الْعَلَّامَةُ الثَّقَّةُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ: أَبُو الْخَيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْجَزْرِيِّ الشَّافِعِيِّ (٧٥١-٨٣٣ هـ)، نَشَأَ فِي دِمَشْقَ، وَفِيهَا حَفِظَ الْقُرْآنَ وَأَكْمَلَهُ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَةِ عَشَرَ عَامًا، وَصَلَّى بِهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ.

<sup>٨٥</sup> لَمْ يَسْمَعْ بِهَذَا الْإِسْمِ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَوَّلُ مَنْ سَمَاهُ هُوَ الْعَلَّامَةُ صَدِيقُ حَسَنِ خَانَ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٠٧ هـ ذَكَرَ هَذِهِ التَّسْمِيَةَ فِي كِتَابِهِ "أَبْجَدُ الْعُلُومِ"، وَنَسَبَهَا لِابْنِ كَثِيرٍ فِي مَوْضِعَيْنِ، وَلَيْسَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فَالْشَّيْخُ صَدِيقُ ثَوْفِي قَبْلَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ شَاكِرَ بِسَبْعِينَ سَنَةً.

وَفِي الْحَدِيثِ: عَمَدَةُ الْأَحْكَامِ لِلْمَقْدِسِيِّ<sup>٨٦</sup>، ثُمَّ الْمَحْرَرُ فِي الْحَدِيثِ لِابْنِ عَبْدِ الْهَادِي الْحَنْبَلِيِّ<sup>٨٧</sup>، أَوْ بَلُوغُ الْمَرَامِ لِابْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ<sup>٨٨</sup>، وَتَسْتَعِينُ بِشَرْحِهَا تَوْضِيحُ الْأَحْكَامِ مِنْ بَلُوغِ الْمَرَامِ لِلْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَسَامِ.

وَفِي السِّيَرَةِ: الرَّحِيقُ الْمُخْتَوِّمُ لِلْمُبَارَكْفُورِيِّ.

### ٣. طَالِبُ الْعِلْمِ الْمُتَقَدِّمِ

هِنَاكَ مَنَاهِجٌ مُتَعَدَّدَةٌ لِلْمُتَقَدِّمِينَ نَنْصَحُ بِبَعْضِهَا:

١. **المذهب الحنفي:** الهداية شرح بداية المبتدي<sup>٨٩</sup>، حاشية ابن عابدين الدمشقي<sup>٩٠</sup>، وتستنعين أيضاً بكتاب شرح معاني الآثار للطحاوي<sup>٩١</sup> الذي يُبَيِّنُ أَحَادِيثَ الْأَحْكَامِ، وَإِعْلَاءَ السُّنَنِ لِلْعَثْمَانِيِّ<sup>٩٢</sup>، كَمَرَجَعٍ إِلَى آرَاءِ الْعُلَمَاءِ فِي أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ عَلَى الْمَذْهَبِ الْحَنْفِيِّ.

٢. **المذهب المالكي:** مختصر الشيخ خليل<sup>٩٣</sup>، مَعَ شَرْحِهِ مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ<sup>٩٤</sup>.

٣. **المذهب الشافعي:** المجموع شرح المهذب للنووي (ت: ٦٧٦).

٤. **المذهب الحنبلي:** كتاب المغني لابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠).

وَفِي الْعَقِيدَةِ: الشَّرِيعَةُ لِلْأَجْرِيِّ<sup>٩٥</sup>، شَرْحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لِلْأَلْكَائِيِّ، التَّوْحِيدُ لِابْنِ خَزِيمَةَ، أَصُولُ السُّنَّةِ لِابْنِ أَبِي زَمَنِينَ، الرَّؤْيَةُ لِلدَّارِقُطْنِيِّ، السُّنَّةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبَانِيِّ.

وَفِي التَّلَاوَةِ: الشَّاطِبِيَّةُ مَعَ شَرْحِهَا الْوَافِي لِعَبْدِ الْفَتْاحِ الْقَاضِيِّ.

وَفِي النُّحُوِّ: أَلْفِيَةُ ابْنِ مَالِكٍ مَعَ شَرْحِهَا لِابْنِ عَقِيلٍ.

<sup>٨٦</sup> عمدة الأحكام من كلام خير الأنام لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (المتوفى: ٦٠٠هـ).

<sup>٨٧</sup> شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ).

<sup>٨٨</sup> شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني ثم المصري الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ).

<sup>٨٩</sup> لمؤلفها علي بن أبي بكر المرغيناني برهان الدين أبو الحسن المتوفى سنة ٥٩٣هـ.

<sup>٩٠</sup> محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (١١٩٨-١٢٥٢) فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، ولد في دمشق ومات فيها.

<sup>٩١</sup> الطحاوي (٢٣٨-٣٢١هـ) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر. ولد ونشأ في قرية طحا في المنيا بصعيد مصر، وتفقّه على مذهب الشافعي، ثم تحول إلى المذهب الحنفي فكان إماماً رحمه الله.

<sup>٩٢</sup> هو ظفر أحمد بن لطيف أحمد عثمانى التهانوي. ولد في الديوبند، وتوفي في أشرف آباد (باكستان) (١٣١٠ - ١٣٩٤ هـ).

<sup>٩٣</sup> للشيخ الإمام ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المعروف بالجندي، ت: ٧٧٦.

<sup>٩٤</sup> لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعَيْنِي الْمَالِكِي (المتوفى: ٩٥٤هـ).

<sup>٩٥</sup> هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي (٢٨٠-٣٦٠هـ).

وفي التفسير: تفسير الطبري<sup>٩٦</sup>، وتفسير القرطبي<sup>٩٧</sup>، وأضواء البيان للشنقيطي.

وفي الحديث: المنتقى في الأحكام لمجد الدين بن تيمية<sup>٩٨</sup>، ثم أمات الكتب التسعة<sup>٩٩</sup>، وأخص منها البخاري ومسلم والموطأ للإمام مالك برواية الليثي، مع الشروحات وأهمها فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، وشرح مسلم للنووي.

وفي الفقه: تقرأ كتب الفقه المقارن النافعة كالتمهيد لابن عبد البر<sup>١٠٠</sup>، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد<sup>١٠١</sup>.

وفي مصطلح الحديث: ألفية العراقي وشرحه فتح المغيث للسخاوي<sup>١٠٢</sup>، ألفية السيوطي في الحديث مع شرحه المسمى "إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر، في علم الأثر" لشيخنا العلامة محمد الأثيوبي.

وفي أصول الفقه:

أصول السرخسي على طريقة المذهب الحنفي.

الإشارة في أصول الفقه، لأبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ) على مذهب المالكية.

الرسالة للشافعي والمحصول للرازي مع شرحه للقراقي، والمستصفي للغزالي، والإحكام في أصول لأحكام للأمدى<sup>١٠٣</sup>، على مذهب الشافعية.

وروضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين المقدسي المتوفى ٦٢٠ هـ، على مذهب الإمام أحمد.

الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد ابن حزم المتوفى ٤٥٦ هـ، عند الظاهرية.

مختصر ابن الحاجب، على طريقة أقوال الأصوليين والمذاهب الأربعة.

وفي الفرائض: الرحبية، مع شرح سبط المارديني وحاشية العلامة البقري، ومنت الجعبرية في علم

الفرائض (نظم ألالبي) للجعبري المتوفى ٧٠٦ هـ، مع شرحها لأحمد بن رجب طيغاً المتوفى ٨٥٠ هـ..

<sup>٩٦</sup> محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ - ٣١٠ هـ)، مفسر ومؤرخ وفتي، ولقب بإمام المفسرين.

<sup>٩٧</sup> أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ).

<sup>٩٨</sup> ابن تيمية الجَد (جَد ابن تيمية) عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، أبو البركات مجد الدين، فقيه حنبلي محدث ومفسر، ولد بحران سنة (٥٩٠ هـ).

<sup>٩٩</sup> الكتب التسعة: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن ابن ماجه، مسند أحمد، موطأ مالك، وسنن الدارمي.

<sup>١٠٠</sup> أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣ هـ).

<sup>١٠١</sup> أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥ هـ).

<sup>١٠٢</sup> شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ).

<sup>١٠٣</sup> أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الأمدى (المتوفى: ٦٣١ هـ).

وهذين الكتابين على طريقة الشافعية لكن (نظم أَلْيَاء) أوسع، وكذا السِّراجية<sup>١٠٤</sup> مع شرحها للجرجاني المتوفى المتوفى ٨١٤ هـ، وهي على المذهب الحنفي.

وفي السِّيرة: دلائل النبوة وأحوال صاحب الشريعة للبيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ، والسِّيرة النبوية، للإمام بن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ، وكذلك الاطلاع على كتابه البداية والنهاية. وهذه المناهج قد تختلف باختلاف البلدان والمشايخ الذين يُدرسون المناهج العلمية.

## تحذير

وإياك أن تشتغل في بداية الطلب بالاختلاف بين العلماء، فيؤدي الى شتات ذهنك، وضياع وقتك، واشتغل بما ينفعك ثم تدرج شيئاً فشيئاً، ولا تستعجل الشيء قبل أوانه فتعاقب بجرمانه. وإياك تتبع الغرائب والشواذ في المسائل، فإنها لا تنفعك ولا تزيدك علماً وفقهاً، قال الأثرم سأل رجلاً أبا عبد الله<sup>١٠٥</sup> عن حديث فقال أبو عبد الله: الله المستعان تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب، ما أقلّ الفقه فيهم<sup>١٠٦</sup>.

وقال الحسن بن محمد سمعت أحمد بن حنبل سئل عن أحاديث غرائب فقال: شيء غريب أي شيء يرجى به قال: يطلب الرجل ما يزيد في أمر دينه ما ينفعه<sup>١٠٧</sup>. وجاء في الأثر أن رجلاً يقال له: صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين<sup>١٠٨</sup> النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه، وقال: أنا عبد الله عمر. فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي<sup>١٠٩</sup>.

ولذلك نرى بعض الشباب يتخبط، فراه عندما يقرأ كتاباً يمرّ بحديث لا يفهم مراده فيبني عليه حكماً شرعياً، وهذا الحديث قد يكون منسوخاً، أو ضعيفاً، فيحصل عندهم من الأخطاء ما

<sup>١٠٤</sup> نسبة لمؤلفها سراج الدين محمد بن محمد السجاودي، وهو فقيه وعالم رياضيات من القرن الثاني عشر.

<sup>١٠٥</sup> الإمام أحمد بن حنبل.

<sup>١٠٦</sup> الآداب الشرعية، لابن مفلح: ١٢٢/٢.

<sup>١٠٧</sup> المصدر السابق.

<sup>١٠٨</sup> العرجون: العنق، ما يحمل الثمر.

<sup>١٠٩</sup> أخرجه الدارمي في سننه في كتاب المقدمة، باب من هاب الفتيا وكره التطلع والتبذع، رقم: ١٤٦.

يشيبُ له الرأسُ، وذلك بسببِ سوءِ فهمِهِ، وقلةِ علمِهِ، ثمَّ يجادلونَ به أهلَ العلمِ، لإبرازِ نفسِهِم بأنَّهُم من أهلِ العلمِ، فيؤدِّي لبغضِ النَّاسِ لَهُم، خاصةً الذين يُلزِمونَ النَّاسَ بآرائِهِم ويرونَ قولَهُم الحقَّ ومن دونهُ الباطلَ، وكلُّ ذلكِ بسببِ الجهلِ بعدمِ ترتيبِ الأولياتِ في طلبِ العلمِ الشرعيِّ والجهلِ بمقاصدِ الشريعةِ، فلذلك ركَّزنا على هذا الأمرِ لأهميتهِ.

## ❖ الوصية الثامنة

### منهجية حفظ القرآن والمتون والمنظومات

وبعد أن عرفنا المناهج، نذكرُ بعضَ الطرقِ والوصايا لحفظِ القرآنِ والمتونِ والمنظوماتِ فنبداً بحفظِ القرآنِ، وإليك بعضُ الخطواتِ:

١. تصحيحُ القراءة: يجبُ أن تكونَ قراءتكِ للقرآنِ صحيحةً من خلالِ دراسةِ أحكامِ التلاوةِ فإن لم تكنِ مُتقناً لأحكامِ التلاوةِ فعليكِ بالسَّماعِ من شيخٍ قارئٍ مُتقنٍ حتى تصلِ لتعلمِ الأحكامِ، والقرآنِ لا يؤخذُ إلا بالتلقي، فإنَّ النبيَّ ﷺ تلقاها من جبريلَ، والصحابةُ تلقوها عن النبيِّ ﷺ وهكذا إلى أن وصلتِ إلينا بالسندِ المتصلِ، من مشايخنا إلى النبيِّ ﷺ.

٢. اختيارُ الوقتِ المناسبِ للحفظِ، وأفضلُها بعدَ الفجرِ، والابتعادِ عنِ المغرياتِ وبالأخصِّ الموبايلِ وما تحتويها من برامجٍ كالفيسبوكِ والواتسابِ وغيرها.

٣. تحديدُ نسبةِ الحفظِ: وهذا يختلفُ من شخصٍ لآخرٍ وأفضلُها وجهةٌ واحدةٌ أو نصفَ وجهةٍ.

٤. اختيارُ مصحفٍ واحدٍ للحفظِ: فيجبُ عليه أن يعتمدَ على طبعةٍ واحدةٍ لا يغيرها أبداً.

٥. اختيارُ تفسيرٍ يسيرٍ يُعينك على الحفظِ كتفسيرِ السَّعدي وهنالك غيرها من المختصراتِ.

٦. عندما يبدأ بالحفظِ، أولاً: ينظرُ إلى الآيةِ بعينيه مع التركيزِ حتى تنطبعَ صورةُ الآيةِ ومواضعِها في الذهنِ، ثمَّ يقرأها عشرَ مراتٍ غيباً يُكرِّرها بصوتٍ مسموعٍ، وقبل أن ينتقلَ إلى الآيةِ التي بعدها يربطُ بين الآياتِ، ودائماً ركِّز على بدايةِ الآيةِ والتي بعدها، وبعد أن تحفظَ المقرَّرَ اليوميَّ، راجعهُ



عشر مراتٍ، وقبل أن تبدأ بحفظِ المقرَّرِ في اليومِ الثاني راجِعْ ما حفظته، ثمَّ ابدأ بالحفظِ الجديدِ واربط بين الآياتِ وخاصةً بداية الآية ونهايتها.

٧. على الحافظِ أن يعرضَ حفظه على حافظٍ آخر، حتى يُنبهَ الحافظَ لما قد يقع فيه من أخطاءٍ في النطقِ أو التشكيلِ.

٨. التَّكرارُ الدائمُ لقراءة ما حفظتَ في الصلاةِ وأثناءِ خَلواتِكَ وفي طريقِكَ لِعَمَلِكَ، فالتَّكرارُ مفيدٌ لضبطِ الحفظِ ولن تستطيعَ الحفظَ دونَ التَّكرارِ.

٩. عندما تنتهي من حفظِ السورةِ تراجعها حفظاً ثمَّ تراجعها بعدَ أسبوعينِ أو شهرٍ حسب طولِ السورةِ لأنَّ المراجعةَ تساعدُ بتثبيتِ الحفظِ.

أمَّا حفظُ المتونِ والمنظوماتِ فأنصحُ باختيارِ المنظوماتِ المشهورةِ فتبدأ بحفظِ تحفةِ الأطفالِ للتلاوةِ للجمزوريِّ، والمقدمةِ الجزريةِ للجزريِّ، والآجروميةِ في النحوِ، والبيقونيةِ في مصطلحِ الحديثِ، والحائيةِ والطحاويةِ في العقيدةِ، ومتنِ الغايةِ للقاضي أبي شجاعٍ في الفقهِ الشافعيِّ، ومتنِ الأخضرريِّ في الفقهِ المالكيِّ، أو حسبِ المذهبِ كما ذكرتُ في الوصيةِ السابعةِ، والورقاتُ في أصولِ الفقهِ، وبلوغُ المرامِ لابنِ حَجَرٍ، وهكذا تتقدَّم بالحفظِ وأنصحُ بعدمِ حفظِ أكثرِ من منظومةٍ لفنٍّ من الفنونِ فهو لا ينفَعُ مع وجودِ المتونِ لنفسِ المنظومةِ، وعليكَ بالمداومةِ على تعاهدِ القرآنِ بالمراجعةِ أفضلِ من حفظِ المتونِ، فقد نرى من لا يحفظُ القرآنَ ومنهمُ يهتمُّ بحفظِ المتونِ على حسابِ القرآنِ وهذا خطأٌ جسيمٌ.

أمَّا حفظُ المنظوماتِ بعدَ اتقانِ القرآنِ فأنصحُ بحفظِ بيتينِ منها يومياً، مع التَّكرارِ لها خمسينِ مرةً أو أكثرَ ولا تستغربِ من العددِ فلن يأخذَ منكِ إلا دقائق معدودةً وبعد الانتهاءِ منها تُكررها حفظاً عشر مراتٍ وكلما ازدت تكررًا زاد ثباتها في الذهنِ.

## ❖ الوصية التاسعة

إيّاك والرياء

إيّاك يا طالب العلم أن تتعلّم العلم لأجل أن يُقال لك عالمٌ، أو للتفاخر بين طلاب العلم، فإنّ أوّل من تُسعّر بهم النَّارَ هو قارئ القرآن المرّاي الذي يُرائي بعمله رغم أنّه كان يتعلّم العلم ويُعلّمه ويُقرأ القرآن ويُعلّم الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: (إنّ أوّل الناس يُفضى يوم القيامة عليه، رجلٌ استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريءٌ، فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمتُ العلم وعلمته وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلّمت العلم ليُقال عالمٌ، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئٌ، فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجلٌ وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كلّها، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحب أن يُنفق فيها إلاّ أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال هو جوادٌ، فقد قيل، ثمّ أمر به فسحب على وجهه، ثمّ ألقي في النار) ١١٠.

وإيّاك والرياء، وحبّ الظهور، والاستعلاء على إخوانك من طلاب العلم، فحبّ الشهرة والظهور يقصم الظهور، وكما قال رسول الله ﷺ: (من طلب العلم ليُجاري به العلماء أو ليُماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار) ١١١.

وهنا أنصح طلاب العلم فأقول إذا وجدت في نفسك بعض الرياء فلا تتوقف عن طلب العلم، فهذا يوجد في كثير من طلاب العلم ولكن بالمداومة على العلم سوف يجعل العلم النية صحيحة وهذا من فضائل العلم فكلما تعلّمت زاد عندك الإخلاص.

١١٠ أخرجه مسلم ١٩٠٥ (١٥٢).  
١١١ أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، ابن ماجه (٢٥٣).

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: طَلَبْنَا الْعِلْمَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَأَبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ ١١٢.

وَأَقُولُ لَكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ: جَاهِدْ نَفْسَكَ دَائِمًا عِنْدَ طَلَبِ الْعِلْمِ وَحَاوِلْ أَنْ تُصَحِّحَ النِّيَّةَ فِيهِ لِتَجْعَلَهُ خَالصًا لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَكُونَ مِنَ الْفَائِزِينَ.

## ❖ الوصية العاشرة

### العَمَلُ بِالْعِلْمِ

إِنَّ مِنْ ثَمَرَةِ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا حُجِّجَ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، فَنَحْنُ عِنْدَمَا نَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ نَبْتَغِي بِذَلِكَ أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ عَلَى مُرَادِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى مُرَادِ رَسُولِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَمَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْعِلْمِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ١١٣، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١١٤، وَسَيَسْأَلُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ) ١١٥، فَلِهَذَا كَانَ السَّلْفُ حَرِيصِينَ عَلَى الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) ١١٦.

فَانظُرْ كَيْفَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بِمُجَرَّدِ عِلْمِهِ عَمَلَ بِهِ وَطَبَّقَهُ، وَالتَّطْبِيقُ يَأْخُذُ وَقْتًا طَوِيلًا وَهُوَ إِلَى آخِرِ الْعُمُرِ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أَنَّ فَاطِمَةَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْأَلُهُ حَادِمًا، فَقَالَ ﷺ: أَلَا أَخْبِرُكَ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ؟ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنْامِكِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُحَمِّدِينَ اللَّهَ

١١٢ المدخل الى السنن الكبرى البيهقي ج ٢/ص: ٧٦، ابن عساکر تاريخ دمشق ج ٥٩/ص: ٤١٧، أدب الدين والدنيا للماوردي ص: ١٣٨.

١١٣ الصف: ٢، ٣.

١١٤ الجمعة: ٥.

١١٥ أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٥٤) واللفظ له.

١١٦ رواه البخاري: (١١٢٢)، ومسلم: (٢٤٧٩).

ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبَّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَمَا تَرَكْتَهَا بَعْدَ قِيلٍ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ؟ قَالَ: وَلَا لَيْلَةَ صِفِّينَ ١١٧.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو الدَّائِي فِي كِتَابِ الْبَيَانِ لَهُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ عُثْمَانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُفَرِّقُهُمُ الْعَشْرَ فَلَا يُجَاوِزُونَهَا إِلَى عَشْرٍ أُخْرَى حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَيَعْلَمُنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا عَشْرَ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ نَتَعَلَّمِ الْعَشْرَ الَّتِي بَعْدَهَا حَتَّى نَعْرِفَ حَالَهَا وَحَرَامَهَا وَأَمْرَهَا وَنَهْيَهَا ١١٨.

وَصَحَّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يَسْمَعُ الْبَابَ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ فَيَعْلَمُهُ فَيَعْمَلُ بِهِ، فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَوْ كَانَتْ لَهُ فَوَضَعَهَا فِي الْآخِرَةِ ١١٩.

وَقَدْ كَانَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَهُوَ غُلَامٌ يُجِيبِي اللَّيْلِ ١٢٠، وَمِنْ عَجَائِبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ مَا كَتَبْتُ حَدِيثًا إِلَّا وَقَدْ عَمِلْتُ بِهِ، حَتَّى مَرَّ بِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اخْتَجَمَ وَأَعْطَى أَبَا طَيْبَةَ دِينَارًا فَأَعْطَيْتُ الْحَجَّامَ دِينَارًا حِينَ اخْتَجَمْتُ ١٢١.

وَبَاتَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَجُلٌ فَوَضَعَ عِنْدَهُ مَاءً قَالَ الرَّجُلُ: فَلَمْ أَقُمْ بِاللَّيْلِ وَمَ اسْتَعْمِلَ الْمَاءَ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ لِي: لِمَ لَا تَسْتَعْمِلُ الْمَاءَ؟ فَاسْتَحْيَيْتُ وَسَكَتُ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِصَاحِبِ حَدِيثٍ لَا يَقُومُ بِاللَّيْلِ ١٢٢.

وَهُنَا أَنْبَأَهُ إِلَى أَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ:

١. إِنَّ بَعْضَ طُلَّابِ الْعِلْمِ يَتْرُكُ الْعِلْمَ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ فَأَنْتَ بِتَعْلَمِكَ الْعِلْمَ تَنْفَعُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ تَكُونُ فَقِيرًا وَتَحْتُ النَّاسَ لِدَفْعِ الزَّكَاةِ، أَوْ مُعَاقًا فَتَعْلَمُ النَّاسَ الدَّفَاعَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَهَكَذَا، فَلَا تَجْعَلِ الشَّيْطَانَ يَمْنَعُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَتَبْلِيغِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ كُلُّ

١١٧ رواه البخاري: (٥٣٦٢)، ومسلم: ٢٧٢٧ (٧٩).

١١٨ تفسير القرطبي ج ١/ص ٥٠-٥١.

١١٩ الآداب الشرعية لابن مفلح فصل في قيام أهل الحديث الليل وخشوعهم ج ٢/ص: ١١٧.

١٢٠ الآداب الشرعية لابن مفلح فصل في قيام أهل الحديث الليل وخشوعهم ج ٢/ص: ١١٨.

١٢١ سير أعلام النبلاء ج ١١/ص: ٢١٣.

١٢٢ الآداب الشرعية لابن مفلح فصل في قيام أهل الحديث الليل وخشوعهم ج ٢/ص: ١١٧.

داعية العمل بكل ما يعلم، وقد سُئِلَ الزُّهْرِيُّ: الْعِلْمُ أَفْضَلُ أَوْ الْعَمَلُ بِهِ؟ فَقَالَ: الْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ لِمَنْ جَهَلَ، وَالْعَمَلُ أَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ لِمَنْ عَلِمَ<sup>١٢٣</sup>.

٢. بعض طلاب العلم يفهم خطأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ \*كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>١٢٤</sup>، فهناك فرق بين نهي الناس عن الحرام وأنت لا ترتكبه وبين النهي عنه وأنت ترتكبه، وهذا هو المذموم.

## ❖ الوصية الحادية عشر

### التَّخَصُّصُ

وإذا رأيت نفسك قد أحببت علماً فتخصَّص به، ولا تهمل أساسيات العلم كما ذكرنا، فالغاية هو نصر الدين، والتَّخَصُّصُ يساعدك في ذلك من خلال ردِّ الشُّبُهَاتِ والدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ، فتكون حرساً للحدود، فنرى مثلاً بعض الدعاة تَخَصَّصَ في الردِّ على أهل البدع، وبعضهم في الردِّ على أهل الديانات الأخرى، وبعضهم في العقيدة والمواريث والنحو وهكذا، فلهذا من استشكّل في مسألة يذهب إلى أهل التَّخَصُّصِ، كما أنك عندما تُصاب بمرضٍ ولم يستطع الطبيب العام تشخيصه تذهب لطبيبٍ مُتَخَصِّصٍ، والدينُ طبيبُ الأرواح والأبدانِ ولا يستقيمُ أمرُ دُنْيَاكَ وآخِرَتِكَ إلا به.

<sup>١٢٣</sup> [أدب الدنيا والدين، ص: ٧٨].

<sup>١٢٤</sup> الصف: ٢، ٣.

## ❖ الوصية الثانية عشر

## تبليغ العلم

قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُغِضَ مَا يَشْتَرُونَ} ١٢٥، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) ١٢٦.

فتبليغ العلم فيه أجر كبير وخير كثير، حتى إن النبي ﷺ قال لعلي: {فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم} ١٢٧.

فلو أنك فتحت مركزاً إسلامياً لتعليم القرآن والسنة وعلمت شخصاً سورة الفاتحة مثلاً، فقرأ بها في الصلاة كل يوم تسعة عشر مرة، عدى السنن لجأك أجر عظيم حتى بعد موتك وأنت في قبرك وإلى يوم القيامة، وهكذا لكل علم أو سنة حسنة تأتي بها ولها أصل في الدين تكون لك حسنات لا تعد ولا تحصى فقد قال رسول الله ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ) ١٢٨.

وهنا نخدّر الذين يمتنعون عن تعليم العلم، بحجة إن العلم عزيز، أو إنني تعبت في الحصول على هذا العلم، أو بعضهم يريد عرضاً من الدنيا زائل مقابل العلم، وهذا ما نراه من أصحاب الأسانيد العالية يتعاملون بالدرهم والدينار مقابل العلم ولديهم ما يُغنيهم، فانتبهوا فإن الوعيد شديد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ ١٢٩، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ١٣٠.

١٢٥ آل عمران ١٨٧.

١٢٦ رواه البخاري

١٢٧ متفق عليه.

١٢٨ رواه مسلم ١٠٧١ (٦٩).

١٢٩ البقرة: ١٥٩.

١٣٠ رواه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، وأحمد (٨٦٣٨).



## ❖ الوصية الثالثة عشر

## رفقا بطلاب العلم

ووصيتي لمشايخنا الكرام؛ رفقا بطلاب العلم فالزمان الذي نعيشه ليس هو الزمان الذي عاش فيه السلف الصالح، وخاصة في زمن المغريات الصعبة، فكن لينا مع طلاب العلم محبا لهم مهتما بشؤونهم فأنت بمنزلة الوالد لهم، ولا تقس عقلك بعقلهم، ولا علمك بعلمهم، وكن مع الجاهل كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين علم الأعرابي الذي بال في المسجد فقال ﷺ: لا تزرموه<sup>١٣١</sup> دعوه فتركوه حتى بال، ثم دعاه ﷺ فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القدر إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن<sup>١٣٢</sup>.

وكما كان ﷺ مع معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه حين قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واأكل أمي<sup>١٣٣</sup>؛ ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتموني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأي هو وأمي؛ ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه؛ فوالله: ما كهرني<sup>١٣٤</sup>، ولا ضربني، ولا شتمني، قال ﷺ: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)<sup>١٣٥</sup>.

فكم كان رحيما لينا رفيقا ﷺ في تعليم الصحابة رضي الله عنهم، واعلم حفظك الله أن الشدة الدائمة تؤدي لنفرة طالب العلم عن العلم ولو نظرنا الى قول الله سبحانه وتعالى لنبية ﷺ: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}<sup>١٣٦</sup>، لعرفنا أن الشدة الدائمة لا تأتي بخير، وخلل درسك بكلمات طيبة لتلاميذك فإن لها تأثير عجيب وخاصة الشاء عليه، كما علمنا النبي ﷺ حين قال الى أبي بن كعب رضي الله عنه: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟

<sup>١٣١</sup> لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ١٣٦).

<sup>١٣٢</sup> رواه البخاري (٦٠٢٥)، رواه مسلم (٢٨٥).

<sup>١٣٣</sup> قوله: (واأكل أمي) التكل بضم التاء وإسكان الكاف وبفتحهما جميعا لغتان، كالبخل والبخل، حكاهما الجوهري وغيره، وهو فقدان المرأة ولدها، وامرأة تكلى وتاكل، وتكلته أمه بكسر الكاف، وأتكله الله تعالى أمه، وقوله: (أمي) هو بكسر الميم. "شرح مسلم" للنووي (٢٠/٥).

<sup>١٣٤</sup> قوله: (فوالله ما كهرني) أي ما انتهرني. "شرح مسلم" للنووي (٢٠/٥).

<sup>١٣٥</sup> رواه مسلم (٥٣٧).

<sup>١٣٦</sup> [آل عمران: ١٥٩].

قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ ١٣٧.

وَانظُرْ إِلَى كَلِمَاتِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَهُوَ يَقُولُ لِتَلَامِيذِهِ: (أَنْتُمْ مَسَارُّ قَلْبِي، وَجَلَاءُ حُزْنِي) ١٣٨، فَكَمْ أَثَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَتْ مِنْهُمْ الْعُلَمَاءَ.

فَإِنْ رَأَيْتَ تَلْمِيذَكَ قَدْ خَالَفَكَ فِي مَسْأَلَةٍ مُعَيَّنَةٍ فَارْفُقْ بِهِ وَقُلْ لَهُ هَذَا رَأْيُكَ وَرَأْيِي يُخَالِفُ رَأْيَكَ، وَهَذَا مِنْ أَخْلَاقِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَهَذَا الشَّافِعِيُّ مَعَ تَلْمِيذِهِ يُونُسَ الصَّدِيقِ فِي الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَةِ فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ، نَازَرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ، ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقَيْتَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ ١٣٩.

فَعَلَيْكُمْ بِالرَّفْقِ مَعَ تَلَامِيذِكُمْ وَكَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ١٤٠.

وَكََمَا قَالَ ﷺ: إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ١٤١.

١٣٧ رواه مسلم ٨١٠ (٢٥٨).

١٣٨ الجواهر المضبية في طبقات الحنفية - ج ٣/ص: ٤١٧.

١٣٩ سير أعلام النبلاء؛ ط الحديث (٨ / ٢٤٠)، تاريخ دمشق؛ لابن عساکر (٣٠٢ / ٥١).

١٤٠ رواه مسلم.

١٤١ رواه مسلم.

## ❖ الوصية الرابعة عشر

الغمرُ في طلبِ العلمِ

ويجبُ أن نُعلِّمَ أولادنا في الصِّغَرِ فالعلمُ في الصِّغَرِ كالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ لِأَنَّ الصِّغِيرَ يَكُونُ صَافِي الدِّهْنِ غَيْرَ مُنْشَغِلٍ بِأُمُورِ الدُّنْيَا.  
وَكَمَا قَالَ نَفْطُويهِ<sup>١٤٢</sup>:

أَرَانِي أَنْسَى مَا تَعَلَّمْتُ فِي الْكِبَرِ ... وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الصِّغَرِ  
وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا بِالتَّعَلُّمِ فِي الصَّبَا ... وَمَا الْحِلْمُ إِلَّا بِالتَّحَلُّمِ فِي الْكِبَرِ  
وَلَوْ فَلِقَ الْقَلْبُ الْمُعَلَّمُ فِي الصَّبَا ... لِأُلْفِي فِيهِ الْعِلْمُ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ

وهذا على الغالب، أمّا إن كنتَ كبيراً فلا تيأس وتقول فاتني وقتُ الطَّلَبِ، بل تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ واطلُبِ الْعِلْمَ، فَقَدْ رَأَيْنَا مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ عَلَى كِبَرِهِ بَلْ رَأَيْتُ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ، بَلْ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَطْلُبِ الْعِلْمَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَبُرُوا كَالْقَاضِي الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ فَقَدْ كَانَ شَاطِرًا<sup>١٤٣</sup> يَقْطَعُ الطَّرِيقَ بَيْنَ أَبِيوَرْدٍ<sup>١٤٤</sup> وَسَرَخَسَ، وَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً، فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَقِي الْجُدْرَانَ إِلَيْهَا، إِذْ سَمِعَ تَالِيًا يُتْلُو { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ }، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ قَدْ آتَى، فَرَجَعَ، فَأَوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى خَرَبَةٍ فَإِذَا فِيهَا سَابِلَةٌ<sup>١٤٥</sup>، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَرَحَلُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : حَتَّى نَصْبِحَ فَإِنَّ فَضِيلًا عَلَى الطَّرِيقِ يَقْطَعُ عَلَيْنَا .

قَالَ : فَفَكَّرْتُ، وَقُلْتُ : أَنَا أَسْعَى بِاللَّيْلِ فِي الْمَعَاصِي، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاهُنَا، يَخَافُونِي، وَمَا أَرَى اللَّهَ سَاقِنِي إِلَيْهِمْ إِلَّا لِأَرْتَدِعَ، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَبْتُ إِلَيْكَ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِي مُجَاوِرَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ<sup>١٤٦</sup>.

<sup>١٤٢</sup> المحدث الفاضل ص: ١٨٧، فتح المغيث ج ١٤٠/٢.

<sup>١٤٣</sup> يعني: قاطعاً للطريق.

<sup>١٤٤</sup> مدينة بخراسان بين سرخس وسنا. معجم البلدان (ج ١١٠/١).

<sup>١٤٥</sup> أناس مارون في الطريق.

<sup>١٤٦</sup> تاريخ مدينة دمشق - ج ٤٨/ص ٣٨٢ ط. دار الفكر، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال - ج ٧/ص: ٣٤٤.

وَكَذَلِكَ ابْنُ حَزْمِ الْأَنْدَلُسِيِّ<sup>١٤٧</sup>، وَالْعَزَّ بْنَ عَبْدِ السَّلَامِ حَيْثُ ذَكَرَ السُّبُكِّيُّ فَقَالَ<sup>١٤٨</sup>: كَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ فَقِيرًا جَدًّا، وَلَمْ يَشْتَغَلْ إِلَّا عَلَى كِبَرٍ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَبِيتُ فِي الْكَلَّاسَةِ<sup>١٤٩</sup> مِنْ جَامِعِ دِمَشْقٍ، فَبَاتَ بِهَا لَيْلَةً ذَاتَ بَرْدٍ شَدِيدٍ فَاحْتَلَمَ، فَقَامَ مُسْرِعًا وَنَزَلَ فِي بَرْكَةِ الْكَلَّاسَةِ، فَحَصَلَ لَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ مِنَ الْبَرْدِ، وَعَادَ فَنَامَ، فَاحْتَلَمَ ثَانِيًا، فَعَادَ إِلَى الْبَرْكَةِ؛ لِأَنَّ أَبْوَابَ الْجَامِعِ مُغْلَقَةٌ وَهُوَ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ، فَطَلَعَ فَأَغْمِيَ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ ثُمَّ سَمِعَ النَّدَاءَ فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ: يَا بَنَ عَبْدِ السَّلَامِ، أَتْرِيدُ الْعِلْمَ أَمْ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ الشَّيْخُ عَزَّ الدِّينَ: الْعِلْمَ؛ لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْعَمَلِ، فَأَصْبَحَ وَأَخَذَ<sup>١٥٠</sup> النَّبِيَّةَ<sup>١٥٠</sup> فَحَفِظَهَا فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْعِلْمِ، فَكَانَ أَعْلَمَ أَهْلَ زَمَانِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْقَفَّالُ<sup>١٥١</sup>، الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْكَبِيرُ، شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ، حَذَقَ فِي صِنْعَةِ الْأَقْفَالِ حَتَّى عَمِلَ قُفْلًا بِأَلَاتِهِ وَمِفْتَاحِهِ، زِنَةٌ أَرْبَعُ حَبَّاتٍ، فَلَمَّا صَارَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، آنَسَ مِنْ نَفْسِهِ ذِكَاءً مُفْرِطًا، وَأَحَبَّ الْفِقْهَ، فَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَتِهِ حَتَّى بَرَعَ فِيهِ، وَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ، وَهُوَ صَاحِبُ طَرِيقَةِ الْخُرَّاسَانِيِّينَ فِي الْفِقْهِ الشَّافِعِيِّ، وَسَمَاعَاتُهُ نَازِلَةٌ، لِأَنَّهُ سَمِعَ فِي الْكُهُولَةِ<sup>١٥٢</sup>.

وَكَذَلِكَ الْكِسَائِيُّ فَقَدْ تَعَلَّمَ النَّحْوَ عَلَى الْكَبِيرِ<sup>١٥٣</sup>، وَالْعَلَامَةُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيِّ الْوَقَادِ النَّحْوِيِّ<sup>١٥٤</sup>، اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ عَلَى كِبَرٍ، قِيلَ: كَانَ عَمْرُهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَكَانَ وَقَادًا<sup>١٥٥</sup> فَسَقَطَتْ مِنْهُ يَوْمًا فِتِيلَةٌ عَلَى كُرْسِيِّ أَحَدِ الطَّلَبَةِ، فَشْتَمَهُ وَعَيَّرَهُ بِالْجَهْلِ، فَتَرَكَ الْوَقَادَةَ وَأَكْبَبَ عَلَى الطَّلَبِ، وَبَرَعَ فِي النَّحْوِ<sup>١٥٦</sup>. فَعَلَيْكَ بِالْحَرَصِ عَلَى الْعِلْمِ فِي أَيِّ وَقْتٍ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى عُمُرِكَ، فَعُمُرُكَ الْحَقِيقِيُّ هُوَ مَا قَضَيْتَهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

<sup>١٤٧</sup> "معجم الأديباء" (٤/ ١٦٥٢ - ١٦٥٣).

<sup>١٤٨</sup> "طبقات الشافعية الكبرى" (٨/ ٢١٢ - ٢١٣).

<sup>١٤٩</sup> الكلاسة (بالتشديد): موضع بدمشق

<sup>١٥٠</sup> التنبيه في الفقه الشافعي تأليف أبو إسحاق الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦ هـ).

<sup>١٥١</sup> أبو بكر، عبد الله بن أحمد بن عبد الله، المرزوي الخراساني، مات في سنة سبع عشرة وأربع مائة.

<sup>١٥٢</sup> الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ١٧/ص: ٤٠٦.

<sup>١٥٣</sup> "تاريخ بغداد" (٢/ ٣٢٢).

<sup>١٥٤</sup> أبو الوليد زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن أحمد الجرجاوي الأزهرى (٨٣٨هـ/٤٣٤م - ٩٠٥هـ/٤٩٩م)، يُعرف بالوقاد، وهو نحوي مصري من جرجا.

<sup>١٥٥</sup> (الوقاد): وصف للمبالغة. وهو من يوقد النار. ويقدم الوقود إلى القاطرة ونحوها، ومن يشعل المصابيح.

<sup>١٥٦</sup> "شذرات الذهب" (١٠/ ٣٨ - ٣٩).

**الْوَصِيَّةُ الْأَخِيرَةُ**

وَأَخْتِمُ كَلَامِي بِوَصِيَّةٍ مَهْمَةٍ وَأَقُولُ: مَنْ أَرَادَ خَيْرَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَمَنْ أَرَادَ خَيْرَ الْآخِرَةِ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ وَمَنْ أَرَادَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.  
 أَنْتَهَيْتُ مِنْهُ فِي الْإِثْنَيْنِ رَجَبِ ٠٦ / جُمَادَى الْآخِرَةِ / ١٤٤١ هـ.

## الفهرس

- ❖ الوصيةُ الأولى ..... ٢
- إخلاصُ النيةِ ..... ٢
- ❖ الوصيةُ الثانيةُ ..... ٤
- أهميةُ طلبِ العلمِ ..... ٤
- ❖ الوصيةُ الثالثةُ ..... ٥
- الصَّبْرُ والعزيمةُ عندَ الطَّلَبِ ..... ٥
- ..... ٥
- ❖ الوصيةُ الرابعةُ ..... ٨
- اختيارُ الشَّيخِ والمُعَلِّمِ ..... ٨
- وَمِنَ الَّذِينَ نُحَذِرُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ. .... ٨
١. أهلُ البدعِ ..... ٨
٢. أهلُ الأهواءِ ..... ٩
- وَنُنَبِّهُ عَلَى أُمُورٍ: ..... ١٠
- ❖ الوصيةُ الخامسةُ ..... ١٢
- التَّوَضُّعُ والأدبُ ..... ١٢
- ❖ الوصيةُ السادسةُ ..... ١٤
- الصَّمْتُ، وحُسْنُ الاستماعِ، والسؤالِ، والحِفظِ ..... ١٤
- خامسًا: نَشْرُهُ عندَ أهلِهِ، فلا تنشره عندَ فاسقٍ فيحتجُّ به، أو مبتدعٍ فتكون إعانةً له على بدعته. .... ١٥
- ❖ الوصيةُ السابعةُ ..... ١٦
- ترتيبُ الأولوياتِ ..... ١٦
- وهذه من النصائح المهمة التي يجب أن يعتني بها طالب العلم وذلك لأننا نرى بعض طلاب العلم ..... ١٦
- ومن كتب المبتدئين للمذاهب الأربعة التي أنصح بها: ..... ١٧
- تحذير ..... ٢١
- ❖ الوصيةُ الثامنةُ ..... ٢٢
- منهجيةُ حفظِ القرآنِ وَالمُتُونِ وَالمَنْظُومَاتِ ..... ٢٢
- ..... ٢٣
- ❖ الوصيةُ التاسعةُ ..... ٢٤
- إياك والرياء ..... ٢٤
- ❖ الوصيةُ العاشرةُ ..... ٢٥
- العَمَلُ بالعلمِ ..... ٢٥



- ٢٦ ..... وهُنَا أُتِيهُ إِلَى أَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ:
- ٢٧ ..... الوصية الحادية عشر ❖
- ٢٧ ..... التَّخَصُّصُ
- ٢٨ ..... الوصية الثانية عشر ❖
- ٢٨ ..... تَبْلِيغُ الْعِلْمِ
- ٢٩ ..... الوصية الثالثة عشر ❖
- ٢٩ ..... رَفَقًا بِطُلَّابِ الْعِلْمِ
- ٣١ ..... الوصية الرابعة عشر ❖
- ٣١ ..... الْعُمُرُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ
- ٣٣ ..... الوصية الأخيرة